E-ISSN: 2706-9931
P-ISSN: 1994-473X

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September) 2026

Individualism in John Dewey and its instrumental effects (An analytical study)

Asst. Lect Asari Falah Hassan Ali [1] (Corresponding Author)

[1] University of Baghdad, College of Arts asarah.f@coart.uobaghdad.edu.iq

Copyright (c) 2026 **Asst. Lect Asari Falah Hassan Ali**

DOI: https://doi.org/10.31973/h71tpg61

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Publication Dates

(Received 2025-05-19) (Revised 2025-06-29) (Accepted 2025-06-30) (Published 2026-09-15)

Abstract:

The concept of behavior, which is central, is, above all, a tangential concept that expresses the multiplicity of dimensions and important interactions surrounding human nature. A question related to the center of man in the existence surrounding him is, What is his role and what is his position in it? and is man originally individualistic, and accordingly must this individuality be nurtured in him to the furthest extent possible so his desires, activities, and instincts are taken into account and made a standard to which he is judged even if it is at the expense of the surrounding society that must be viewed as an entity imposed on him from outside himself, controlled without his will, pressuring his being, and destroying his personality? Or is the origin of man's nature that he is a follower revolving in the orbit of those around him and has no independent entity, so the group is the origin that eliminates his individual being and almost cancels his existence except as an individual in society, so he receives his values and knowledge according to the standards of that society?

In the research, we discussed John Dewey and his philosophy, the nature of individualism and its principles, and individualism according to John Dewey and its development in his philosophy.

The research problem is represented in clarifying the questions:

- What are the most prominent features of individualism in John Dewey's philosophy, and what is society's position on it?
- What are the intellectual roots of the philosophy of individualism?
- Who is John Dewey?

Keywords: individualism, John Dewey, philosophy.

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 3, Supplement (September 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

الفردية عند جون ديوي وتأثيراتها الذرائعية (دراسة تحليلية)

م.م. اسارى فلاح حسن علي (المؤلف المراسل)
جامعة بغداد، كلية الآداب

تواريخ المنشور

الإستلام	النسخة النهائية	الموافقة	النشر الالكتروني
(٢٠٢٥/٥/١٩)	(٢٠٢٥/٦/٢٩)	(٢٠٢٥/٦/٣٠)	(٢٠٢٦/٩/١٥)

(مُلَخَّصُ البَحث)

إن مفهوم السلوك عرضي يعبر عن تعددية الأبعاد والتفاعلات المهمة حول طبيعة الإنسان تساؤل يتعلق بمركز الإنسان من الوجود المحيط به وما دوره وما مكانته فيه وهل الأصل أن يكون الانسان فردي النزعة، وعليه يجب أن تغذى هذه الفردية فيه إلى أبعد ما يمكن، فتراعى رغباته ونشاطاته وغرائزه وتجعله معياراً يتحاكم اليها حتى وان كان على حساب المجتمع المحيط به الذي يجب أن ينظر اليه على انه كيان مفروض عليه من خارج نفسه متحكم فيه بغير إرادته، ضاغط على كيانه محطم لشخصيته أم أن الأصل في طبيعة الانسان أنه تابع يدور في فلك من حوله ولا كيان مستقل له، فالجماعة هي الأصل التي تقضي على كيانه الفردي بل وتكاد تلغي وجوده الا بوصفه فردا في المجتمع فيتلقى قيمه ومعارفه على وفق معايير ذلك المجتمع.

تناولنا في البحث جون ديوي وفلسفاه و ماهية الفردية ومبادئها والفردية عند جون ديوي وتطورها في فلسفته.

وتمثلت مشكلة البحث في إيضاح التساؤلات:

- ما أبرز معالم الفردية في فلسفة جون ديوي ، وما موقف المجتمع منها؟
- ما الجذور الفكرية لفلسفة الفردية ؟
- من هو جون ديوي ؟

الكلمات المفتاحية: جون ديوي، الفلسفة، الفردية

مقدمة:

لقد شكلت الطبيعة الانسانية مساحة واسعة من اهتمام الفلاسفة على مر التاريخ، وطرحوا حولها العديد من التساؤلات محاولة منهم لفهم هذه الطبيعة، فتارة يتساءلون عن ماهية الإنسان ووجوده، وتارة أخرى عن الخير فيه والشر، ومن التساؤلات المهمة حول طبيعة الإنسان تساؤل يتعلق بمركز الإنسان من الوجود المحيط به، وما دوره وما مكانته فيه، وهل الأصل أن يكون الإنسان فردي النزعة، وعليه يجب أن تغذى هذه الفردية فيه الى أبعد ما يمكن، فتراعى رغباته ونشاطاته وغرائزه وتجعل معياراً يتحاكم اليها حتى وان كان على حساب المجتمع المحيط به الذي يجب أن ينظر اليه على انه كيان مفروض عليه من خارج نفسه متحكم فيه بغير إرادته، ضاغط على كيانه، محطم لشخصيته، أم أن الأصل في طبيعة الإنسان أنه تابع يدور في فلك من حوله ولا كيان مستقل له، فالجماعة هي الأصل التي تقضي على كيانه الفردي بل وتكاد تلغي وجوده الا بوصفه فردا في المجتمع فيتلقى قيمه ومعارفه على وفق معايير ذلك المجتمع (قطب، ١٩٩٣،ص ٦٢-٦٨).

والاجابة عن هذه التساؤلات من الأهمية بمكان، وتحتاجها البشرية بوجه عام، إلا أن المربي أكثر احتياجا الى الإجابة عنها من غيره،ولاسيما وأن الإنسان هو موضوع هذه التربية، والتربية في حقيقتها ما هي إلا رعاية الإنسان والسعي في إيصاله الى مراقي الكمال الإنساني والمربي هو القائم بهذه العملية إلا أن تتبع الاجابة عن جميع هذه التساؤلات في الفلسفات الفكرية أمر يطول حاولت في بحثي هذا تناول موضوع الفردية في فلسفة جون ديوي وهي من الفلسفات التي لها أثرها في التربية المعاصرة.

وكما أن تحديد العلاقة بين الفرد والمجتمع من الموضوعات التي شكلت جدلاً فلسفياً يجب وضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد، وجعل الشخص سيد نفسه وخالق القيم، وتوسيع دائرة معلوماته، وتربية الطالب على التأمل والتفكير وتدريبه على أن يخطط لمستقبله باستقلال ووعي.

المبحث الأول: الإطار المنهجي والدراسات السابقة

أولا : مشكلة البحث

يمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة الاتية:

- ما أبرز معالم الفردية في فلسفة جون ديوي ، وما موقف المجتمع منها؟
- ما الجذور الفكرية لفلسفة الفردية ؟
- من هو جون ديوي ؟

ثانيا: أهداف البحث

أراد البحث أن يجلي معالم الفردية في الفلسفة جون ديوي ، ليحقق الأهداف الاتية

١- توضيح الجذور الفكرية لفلسفة جون ديوي.

٢- إبراز معالم الفردية في لفلسفة جون ديوي.

٣- إلقاء المزيد من الضوء على الفلسفة جون ديوي خصوصا فيما يتعلق بجانب الفردية فيها وتطبيقاتها.

٤- هدفت هذه الدراسة الى توضيح حقيقة المذهب الفردي وأبرز من قال به، وكذلك حقيقة المذهب الجماعي وأبرز من قال به، وبيان حقيقة الجمع الخاطئ بين الفردية والجماعية (المذهب التلفيقي) كما سماه الباحث.

ثالثا: حدود الدراسة

اقتصرت حدود الدراسة على إبراز معالم الفردية في الفلسفة ، وتقييمها من وجهة نظر جون ديوي.

رابعا : منهج البحث

استعمال الباحث المنهج الوصفي والتاريخي.

المبحث الثاني جون ديوي

أولاً: حياته و نشأته

ولد جون ديوي بمدينة برلنجتون في ولاية فيرمونت في ٢٠ أكتوبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وتخرج من المرحلة الثانوية عام ١٨٧٥، كما تلقى تعليمه الجامعي في جامعة فيرمونت وتخرج منها عام ١٨٧٩، ثم انتقل إلى جامعة جون هوبكنزاذا حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٨٨٤. ثم عمل مدرساً للفلسفة بجامعة ميتشيجان في المدة١٨٨٤ -١٨٨٨ وفي لمدة١٨٩٤-١٩٠٤ انتقل ديوي إلى جامعة شيكاغو، التي كانت قد تأسست آنذاك، وعين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية(الاهوائي، ١٩٦٨، ص١٥).

ويعد ديوي من رواد البراجماتية المؤثرين، وصاحب إنتاج علمي وفير، ومع اتفاقه مع من تقدم من فلاسفة البراجماتية في التأثر بالداروينية، إلا أنه كان أشدهم تأثراً بها. فكانت فلسفته تقوم على الداروينية في أغلبها. ولذا نسب اليه ما يسمى (بالبراجماتية البيولوجية) أو (الرؤية البيولوجية للبراجماتية)، التي ارتبطت به، وترى أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته في التأقلم الناجح

المؤدي الى البقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار(رشوان، ١٩٨٤، ص٤٥).

وتوفي ديوي في اليوم الأول من شهر يونيو من عام ١٩٥٢ عن عمر يناهز الثانية والتسعين، بعد أن قدم عطاء وفيرا ومهم خدم به مذهبه وطور تطبيقاته التربوية.

ثانيا: أعماله وإنتاجه العلمي

يعد ديوي من أكثر رواد البراجماتية كتابة وتأليفاً، نال بسببهما شهرته العالمية،إذا كتب في مجالات عديدة، من أهمها التربية والتعليم والمنطق والفلسفة وعلم النفس والأخلاق والسياسة، فضلا عن ما كتبه في الشؤون الاجتماعية والحضارية، ففي مجال التربية والتعليم كان له كتب أهمها (المدرسة والمجتمع) (الديمقراطية والتربية) (مدارس المستقبل)، وقد كتب هذا الكتاب بالمشاركة مع ابنته (افيلين ديوي) وكتاب (الخبرة والتربية) و(عقيدتي التربوية) و(التربية في العصر الحاضر).

وقد بحثنا في ما كتبه جون ديوي فوجد انها ٣٤ ما بين السطور ما بين كتاب ومقال وبهذا سيطول عدها إلا أنه يمكن الرجوع إلى كتاب (الاهواني) (الاهوائي، ١٩٦٨، ص١٦-١٨) الذي جمع فيه حياة ديوي العلمية جمعاً مستفيضا وافيا.

ثالثا: فلسفته

يمكن تقسيم فلسفة ديوي على معالم رئيسة، هي:

-فلسفته التربوية: وهي التي استغرقت جل كتاباته، بل تكاد أن تكون همه الذي سعى إلى أن يطبقه ويجري التجارب لتعزيز ما يعتقده تجاهه، فكان من أول الأعمال التي قام بها - عندما عين رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية- في جامعة شيكاغو عام ١٨٩٤، أن أنشأ مدرسة تجريبية لتحقيق الربط بين النظريات التربوية وتطبيقاتها العملية، وهدفه تجريب طرائقه ومناهجه الدراسية ووسائله في التنظيم المدرسي، التي لم يسبقه إليها أحد، وهذه الطريقة هي لب فلسفة ديوي التربوية، والتي عليها (العادة المختبرية للعقل) والتي استعارها من بيرس(ديوي،١٩٩٨، ص٣٨-٣٩).

ويبدو أن الفكرة قد استفادها ديوي عند انتقاله الى شيكاغو وملاحظته للاختلاف الكبير بين الحياة التي كان يعيشها في شرق أمريكا وبين ما شاهده هناك. الا ان ديوي لم يوفق في هذه المحاولة فحسب ، بل إن هذه المحاولة في الجمع بين نظرته الفدية والمجتمع، فهما لا تعدوان ان تكونا

أقرب إلى التنظير المستعصي على التطبيق العملي الواقعي.

ان المذهب الذاتي هو المذهب الذي مثل فكرة ديوي البراجماتية، فيما يتعلق بالحقيقة وفكرته الاداتية جاءت رداً على النظريات التقليدية للحقيقة، التي كانت ترى ان هناك حقائق ازلية ثابتة نهائية، كاملة وخالدة فجاء بفكرة تقول أنه "بدلا من الركون الى الحقائق الثابتة المتعالية، لابد من النزول إلى الوقائع الموجودة في عالم التغيير، والتي تكتسب بالخبرة(ديوي، ١٩٦٠، ص٦-٧). وبما أنه ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها ابداً، فينبغي أن تكون كل حقيقة هي خطوة الى الحقيقة التي تليها، في طريق متسلسل طويل يؤدي في النهاية الى حل لمشكلة معينة، وهذا الحل الأخير نفسه يستحيل الى أن يكون حقيقة نهائية(الاهوائي، ١٩٦٨، ص١٧).

حاولت في هذا المبحث عرض تاريخ نشأة البراجماتية، وأنها نشأت على يد مؤسسها الأول (تشارلس ساندرس بيرس) مصطلحاً له دلالته، إلا أنها نشأت كفكرة داخل أروقة "النادي الميتافيزيقي" الذي كان يجمع اثنين من روادها، ثم حاولت لأبرز مبادئ العمل إذا جعلت المنفعة هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم، وأنها فلسفة فردية اهتمت بالإنسان الفرد ووضعته في الاعتبار الأول، وأنها فلسفة تركز على المستقبل وتقاطع الماضي، فترى ضرورة تجاوز الماضي والبدء من المستقبل، وهي فلسفة تجريبية في المقام الأول، إذا تعد التجربة هي مصدر المعرفة، مع التأكيد على النتائج العملية لأي فكرة أو تجربة.

وقد عرضت في بحثي هذا الجذور الفكرية لعدد من الفلسفات القديمة والمدارس الحديثة ووجه الشبه بينها، ثم تناولت في المبحث الأخير التعريف بأبرز رواد البرجماتية مع مختصر لمفهوم كل منهم للبراجماتية ووجه اختلاف كل منهم عن الآخر.

ومن أبرز معالم الفردية في فلسفة ديوي رفضه وجود حقائق ثابتة اعلى من الوقائع الجارية في الخبرة الإنسانية والمستمدة من المشاهدات والتجارب وظل حياته كلها يدافع عن هذه النزعة التجريبية. ويطعن في وجود حقائق ثابتة خارج أنفسنا مهما تكن هذه الحقائق(الاهوائي، ١٩٦٨، ص٣٧)، على الرغم من هذه النزعة الفردية في فكر جون ديوي إلا أنه حاول أن يوفق هذه الفردية والمجتمع الذي يعيش فيه الفرد. فلقد ناصر المجتمع "الذي يقوم على أيدي أناس لديهم الشجاعة على التفكير باستقلال.

المبحث الثالث: مبادئ الفردية عند جون ديوي

الفردية لغة واصطلاحا :

يحسن قبل تعريف الفردية بمعنى الفرد في اللغة "حيث يفيد الفرد في اللغة" الوتر، والجمع أفراد وفرادى، والفرد نصف الزوج ولا نظير له، أي انه منقطع القرين، لا مثيل له وتأتي كلمة (تفرَّدَ) بمعنى (مُنعزَل) (تَمَيَّزَ) عن غيره"(ابن منظور، ٢٠٠٢، ص٣٣٧٣).

والفرد هو المتفرد المتميز عن القطيع أو الجماعة، فنقول افرد زيد بالأمر تفرد به، وتفرد بالأمر اي كان فيه فرداً لا نظير له(البستاني، ١٩٩٠، ص ٤٦١).

المعنى العام للفردية:

إن الفردية "هي ما يتصف به فرد عن آخر من الصفات الجسمية والمعنوية كبنيته ومزاجه وحساسيته وذوقه وأفكاره"(صليبا، ١٩٨٢، ص١٤١).

وقد ورد تعريف الفردية في المعجم الفلسفي لصليبا بأنها "مذهب من يرى أن غاية المجتمع رعاية مصلحة الفرد والسماح له بتدبير شؤونه بنفسه"·

وتطلق الفردية في علم الأخلاق والسياسة على "القول أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت الدولة" ·

ويرى الباحث أن الفردية هي تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد سواء أكانت تلك الصفة جسمية أم في سلوكه الاجتماعي، ولعل أشهر هذه الفروق تبدو في النواحي الجسمية كالطول والوزن ونغمة الصوت وهيئة الجسم وهذه الفروق الجسمية تطفو على السطح ويمكن مشاهدتها، وأيضاً هناك فروق كثيرة في النواحي الإدراكية والانفعالية.

التعريف الإجرائي للفردية:

يمكن القول بالنظر الى التعريفات السابقة أنها اقتصرت على التعريف بالفردية من جانب واحد وهو الفرد مقابل المجتمع وأغفلت جوانب أخرى هي أقوى في تمييز الفردية(جديدي، ٢٠٠٤، ص٢١).

وقد سبقت هذه الفردية الروحية والفلسفية، نشوء الصناعة الحديثة وعصر الالة، لكنه كانت السياق الذي عملت فيه الالة، فكثيراً ما يخفي خضوع الفرد ظاهرياً، للمنظمات والشرائع المؤكدة، عن الأنظار الوجودي الحيوي لفردية عميقة الجذور. ولكن حقيقة أن الكنيسة كانت المنظمة المسيطرة، يجب أن تذكرنا بأن الهدف الاسمى من

وجودها كان لتأمين خلاص الفرد ونجاته، ولما كان هذا الفرد يفهم على أنه روح، وكانت الأهداف التي تعمل من أجلها هذه المنظمة –أي الكنيسة– مؤجلة الى حياة سرمدية اخرى، فأن هذه الحقائق تخفي عن الإدراك المعاصر الفردية المبطنة(جلال، ٢٠١٠، ص٣٧).

أحدثت المرحلة الأولى من الثورة الصناعية تحولاً كبيراً، فقد أعطت لحياة الفرد اتجاها علمانيا ودنيويا، وصهرت المعاني الجامدة للتملك في الإقطاعية، عن طريق زحزحة مركز الثقل من الزراعة إلى الصناعة. ومع ذلك، فقد ظلت الفكرة السائدة، بأن الملكية والفائدة هما من ناحية جوهرية، أمران فرديان. ومن الحق أن يقال أنه كانت هناك عناصر متباينة في الصور الأولى والمتأخرة من الفردية، ولكن امتزاج الرأسمالية الفردية والحقوق الطبيعية والأخلاق القائمة على قيم وسمات فردية، ظلت بتأثير البروتستانتية التسوية العقلية المسيطرة(جيمس، ١٩٤٦، ص ٥١).

أن نمو النظام الصناعي مؤخراً قد حطم أساس هذا الحل الوسط. ذلك أن هذا النمو تمخض عن توحيد الطاقة الشخصية، والجهد والعمل، في وحدات جماعية. وفي غضون ذلك أدت السيطرة على الطاقات الطبيعية الى محو عوامل الزمن والابعاد، بحيث أن العمل يضيع في زحمة المشاريع المعقدة الضخمة ذات المدى اللامتناهي، حالما يتكيف مع الأوضاع القائمة، مع ذلك فإن المعدات العقلية السابقة بعد اختفاء أسبابها وأسسها. وهذه هي بصورة أساسية التجزئة الباطنية، التي ينشأ عنها ما نعانيه الآن من حيرة وعدم استقرار(حلمي، ٢٠٠٥، ص٣٢).

كان لمذهب الفردي الاقتصادي القديم شريعة ووظيفة محددتين، فقد سعى الى تحرير حاجات الإنسان، وجهوده لإرضاء هذه الحاجات من القيود القانونية، وكانت أي هذه الفردية تعتقد أن مثل هذا التحرير، سيحدث الطاقات الكامنة على العمل ويخصص بصورة آلية، لكل قدرة فردية العمل الذي يوافقها، ويحملها على إنجازه بحافز من الفائدة التي سيحصل عليها، ويؤمن للقدرة والعزيمة الجزاء والمركز اللذين تستحقانهما. وفي الوقت نفسه، فإن الطاقة الفردية والتوفيرات ستقدم الخدمات لحاجات الآخرين، وبذلك تروجان للنفع العام ينتجان توافقاً عاماً في المصالح.

وقد قطعنا شوطا بعيداً منذ تكونت هذه الفلسفة، وفي يومنا هذا فإن أشد المدافعين عن هذا الطراز من الفردية

عناداً، لا يغامرون بتكرار تأكيداتها المتفائلة، بل أنهم على الأغلب يقتصرون قانعين على إعلان توافقها وتلازمها مع الطبيعة البشرية غير المتغيرة، التي يقال انها لا يحفزها على بذل المجهود الا الامل في النفع الشخصي، وهم راضون برسم صورة قاتمة للنتائج المحتومة، التي يجرها التغيير، الذي يطرأ على أي نظام آخر. وهم يعزون جميع المنافع المادية في حضارتنا الراهنة الى هذه الفردية، وكأن الآلات قد صنعتها الرغبة في النفع النقدي لا العلم المجرد، وكأن ما يدفعهم في هذه الحياة هو المال وحده لا الكهرباء ولا البخار، في ظل من التكنولوجيا المشتركة الجماعية(حنفي، ١٩٩١، ص ١١).

واتخذت الفردية القديمة في أمريكا شكلاً انطلاقاً ولم يكن من الضروري وضع نظرية تعادل بين الربح الشخصي والتقدم الاجتماعي. فلقد اقتضت متطلبات الوضع العملي استثارة المبادأة والعزائم والحيوية لدى الأفراد في جميع الأعمال الفورية، التي اتقضى عملها وادى تنفيذها إلى تقدم الحياة القومية. وقد عبر الدكتور كروزر عن روح العصر في الكلمات التي اقتبسها المستر سيمس اقتباسا لائقاً وجعلها جزءاً من كتابه "أميركا المغامرة"(ديلودال ، ٢٠٠٩، ص٥٤) ، اذا اردت ان تفهم قوة أميركا الدافعة، فعليك أن تفهم مختلف الشبان المتباينين وغير الراضين والفارغي الصبر، الذين وجدوا في كل عصر منطلقاً لحيويتهم والأصوات التي تزعجك، ليست صيحات طبقة عاملة غاضبة، قبل هتافات شبان متحمسين، وجدوا فرصاً جديدة، أن هذا الضجيج يمثل اليوم حماسة جيل جديد، بل يمثل المناطق الاوريغونية والكاليفورنية[١]* التي يزحف نحوها الرواد الأشداء، غير ابهين بالصعاب، أن هذا هو ما يعنيه القلق الاجتماعي في أمريكا.

وإذا لم يكن هذا رجعا لصدى صوت قديم، فإنني لا اعرف في الحق كنهه وانا لا اسمع بالفعل، أصوات الطبقة العاملة الغاضبة، ولكنني افترض أن ما اسمعه من أصوات هو همهة الفرص الضائعة، مختلطة دوي الآلات، والسيارات والمشارب الحقيرة، التي تضيع معها دمدمات السخط، لا كما قال المؤلف هتافات الحماسة والتشوق للفرص المثيرة(ديوي،١٩٩٨، ص٢١).

---

*[١]نسبة الى مناطق ولايتي اوريغون وكاليفورنيا، التي اجتذب اكتشافها وما تنطوي على من السوائح، قوافل الرواد الذين اندفعوا الى استثمارها.

كان للصورة الأوروبية عن الفردية القديمة قيمتها ومبررها الوقتي، لأن التقنية الجديدة (التكنولوجيا) تطلبت فيما تطلبته التحرر من القيود القانونية المغيظة. فالصناعة الآلية كانت في حد ذاتها لاتزال في مرحلة ارتيادية. وأولئك الذين دفعوا بها إلى الأمام، في وجه عقبات من السبات القديم، والشكلية والحواجز السياسية كانوا يستحقون جزءا ولاسيما، يضاف الى هذا أن التفكير في تكديس الرسائل، كان في حدود مشاريع تبدو اليوم صغيرة وتافهة، ولم يكن أحد ليحلم وقتا كهذا سيجيء، تبلغ في حدا متضخما، يقرر شكل النظام السياسي والقانوني وكان التسليم بالفقر في السابق يجري على اعتبار انه قدر من أقدار الطبيعة التي لا يمكن تجنبها، فجاءت الصناعة الجديدة تفتح الطريق على الأقل امام هؤلاء الذين يملكون الطاقة والارادة للتوفير والتكديس ولكن لم يتوقع أحد مجيء وقت ستقدم فيه تقنية الآلة الأساس المادي، للراحة والمتعة المعقولتين والتسلية للجميع.

إذ كان التحول هو الذي يجعل من الفردية القديمة صدى محتضرا، أكثر بروزا وسرعة في هذه البلاد منه في غيرها، فأين هي الفلوات التي تشير الى الطاقة الخلاقة والتي تتيح الفرصة التي لا مثيل لها للحافز والحيوية، وأين هو الرائد الذي يمضي مبتهجا، حتى في غمرة فاقته وحرمانه، نحو الفتح والغزو، فالبراري توجد في الأشرطة السينمائية والقصة، اما ابناء الرواد الذين يعيشون ضمن أجواء مصطنعة خلقتها الالة، فأنهم يتمتعون بحياة الرواد التي يرونها في الاشرطة السينمائية التي تصورها، واني لأرى القليل من القلق الاجتماعي الذي هو ثمرة اجهاد الطاقة بحثا عن منطلق العمل، بل أني لأرى احتجاجاً على اضعاف الحيوية، واستنزاف الطاقة الناجمين عن انعدام الفرصة البناءة، كما أرى ارتباكا هو في الحقيقة تعبير عن العجز عن إيجاد مكان أمين، وذي فائدة معنوية في عالم اقتصادي كثير الاضطراب والتعقيد(ديوي،١٩٧٠، ص٢١).

أما كون المشكلة ليست مجرد مد جميع الأفراد بسمات المبادأة الاقتصادية والفرصة والعزيمة والإقدام إنما قضية تكوين لطراز جديد نفساني وروحي، فهذا يبدو في الضغط العظيم، الذي يبذل حاليا لإيجاد الإنسان والاقتباس في الرأي العام الأمريكي. ولماذا يكون جمع الصفوف المتسقة وبناء نخبة من أفكار الجماهير الكبيرة بمقاييس تنظيمية

ضابطة، وبصورة عامة لماذا تكون سيطرة الكم على الكيف، المميزات للحياة الأمريكية الراهنة(ديوي،١٩٨٧، ص٤٠) ، انني اجد تفسيرا أساسيا وحيدا لهذا، فالفرد لا يستطيع البقاء فكريا في فراغ، وإذا لم تكن آراؤه ومعتقداته الوظيفية التلقائية لحياة الجماعة التي يشترك فيها، فإن في الإمكان اقامة إجماع مصطنع، كبديل بالوسائل المصطنعة والالية. فعند غياب العقلية التي تتجانس مع النظرية الاتحادية الاجتماعية الجديدة، التي بدأت تظهر الى حيز الوجود، تبذل محاولات يائسة لسد الفراغ بوسائل خارجية تحظى بالقبول المصطنع (رالف، ١٩٦٤، ص٣١).

وكنتيجة لذلك، فأن وحدة أفكارنا هي أكثر اصطناعا مما تبدو، فالاقتباس أمر يبعث على الأسى، لأن الصلة فيه هي عدم توغله في الأعماق، فهو يمضي فقط إلى الحد الذي يمكنه من طمس نوعية الفكر الأصيلة، لكنه لا يمضي إلى أبعد من ذلك ليخلق الوحدة الدائمة، ويبدو اصطناع طبيعته واضحاً في عدم استقراره. فالاتفاق في الآراء الناجم عن مؤثرات خارجية كالقمع والإرهاب، مهما كان مرناً، وعن دعاية دقيقة في حساباتها، ونشر منظم هو –أي الاتفاق في الآراء– أمر مصطنع بالضرورة، وكل ما هو مصطنع معرض للتغيير المستمر. والأساليب المستعملة تنتج سذاجة جماهيرية، تقفز من شيء إلى آخر طبقاً للايعازات السائدة في يومها بالذات. فقد نفكر أو نشعر بصورة متشابهة، ولكن لشهر واحد أو لفصل من الفصول، ثم نواجه حادثا مثيرا، او شخصية تثير فينا استجابة منسقة تحمل طابع التنويم المغناطيسي. وهكذا فالمطابقة هي القاعدة العامة في اي وقت معين، اما في وقت يمتد الى أجل، وعلى ضوء المقاطع الطولية، فعدم الثبات والتغير هما اللذان يسيطران وأني لأفترض وجود آخرين يشعرون بالاهتياج من سماعهم لاصطلاحات تشابه ما اخذنا نتعود سماعه مؤخرا، كالقول بأن هذا إنسان له "وعي ذاتي" او "منطق هوائي" ولا اعتقد ان الهياج ناجم عن اسباب لغوية فحسب، بل لأنه يشير الى تحسس نصف واع بالسبل الخارجية التي تتكون فيها ذهنياتنا وتتحول ثم الى التحسس نصف الواعي بعدم ديمومة النتيجة وتفاهتها(ابراهيم، ٢٠٠٧، ص٢١).

وهناك ايضا كما اعتقد أولئك الذين يتصورون أن التأكيد الذي أوليته للطبيعة الاتحادية التكتلية لمجتمعنا الراهن في الولايات المتحدة،

هو في الواقع وإن لم يكن عن قصد واقع ذريعة لإيجاد تطابق أكمل مما هو قائم حاليا، لكن لا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الرأي. فإن التعرف على المجتمع بمستوى معين من التطابق، مهما كان عليا او خفيضا، دليل آخر على الإلهاء الذي تاه الفرد بسببه، فالمجتمع ليس بالطبع إلا علاقات تربط الأفراد بعضهم ببعض، بهذا الشك أو ذاك كما أن جميع العلاقات هي تفاعلات مترابطة متحركة، لا قوالب ثابتة وتتضمن التفاعلات الضمنية المترابطة، التي تؤلف مجتمعاً بشرياً تتبادل فيها الأخذ والعطاء في المشاركة وفي الإسهام الذي يضاعف من قدرة العوامل المتفاعلة ويعمقها ويوسع من اهميتها (بخيت ، ٢٠٠٦، ص٧١). أما المطابقة فهي اسم يطلق على انعدام التأثر او التفاعل الضمني الحيوي، وعلى توقف المخالطة أو تخديرها. وهو كما حاولت القول البديل المصطنع، الذي يستخدم لجمع شتات الناس في حالة انعدام الارتباطات والمشاركات المدموجة في الاستعدادات الباطنية للفكر والرغبة. واني لاتساءل احيانا عن المعنى المقصود من كلمة "مجتمع" التي يستعملها أولئك الذين يعدون هذا التعريف مناقضا لصميمة العلاقات الشخصية، كعلاقات الصداقة. ويبدو انهم عند استعمالهم لهذا المعنى، يفكرون في انظمة متزمتة، أو في نوع معين من تنظيم خارجي، لكن اي نظام لا يقوم بناؤه على المخالطة الانسانية والصلات المتشابكة هو بقايا متحجرة لمجتمع سابق، اذ ان التنظيم كما في اي كائن حي هو الاجماع التعاوني لمجموعات من الخلايا تعيش كل منها عن طريق التبادل مع الآخرين(الترمذي، ٢٠٠٨، ص ٤١).

الخاتمة

يعد ديوي مثالاً لصحة النظرية القائلة بأن الإنسان ثمرة البيئة التي يعيش فيها، فقد اجتمعت له من ميراثه الأبوي، والإقليم الذي نشأ فيه، والتربية التي تلقاها في حداثته، والأساتذة الذين طلب العلم عليهم، والأمة التي كان فرداً من أفرادها وما لتلك الأمة من تقاليد مأثورة عن الحرية والديموقراطية، والعصر الذي ولد فيه وترعرع في أحضانه، والنزعات الفلسفية والاتجاهات العلمية التي أخذت تقوى وتشتد وبخاصة الاتجاه إلى التصنيع وما تبعه من مناداة العمال بحقوقهم ونزول المرأة إلى ميدان العمل، والتغيير المحسوس السريع الذي نتج عن ذلك في المجتمع والأخلاق والتربية والدين

والفن كل هذه العوامل ساهمت في تكوين جون ديوي فكان بذلك ثمرة هذه البيئة الثقافية والحضارية .

والفردية عند جون ديوي هي الروحية الفلسفية، اي تعتبر قبل نشوء الصناعة الحديثة وعصر الالة، لكنه كانت السياق الذي عملت فيه الالة، فكثيراً ما يخفي خضوع الفرد ظاهرياً، للمنظمات والشرائع الموطدة، عن الأنظار الوجودي الحيوي لفردية عميقة الجذور. ولكن حقيقة أن الكنيسة كانت المنظمة المسيطرة، يجب أن تذكرنا بأن الهدف الاسمى من وجودها كان لتأمين خلاص الفرد ونجاته، ولما كان هذا الفرد يفهم على أنه روح، وكانت الأهداف التي تعمل من أجلها هذه المنظمة –أي الكنيسة– مؤجلة الى حياة سرمدية اخرى، فأن هذه الحقائق تخفي عن الإدراك المعاصر الفردية المبطنة. وقد تألفت مادة هذه الفردية في عصرها الطبيعة الروحية الازلية للروح الشخصية، كما نتجت قوة المنظمة الموطدة –أي الكنيسة– من كونها الوسيلة الضرورية لتحقيق الغاية العليا للفرد.

النتائج

١. يعد جون ديوي من أهم فلاسفة الفلسفة البراغماتية والذي من آرائه ما ينص على أنّ المعرفة عرضة للخطأ (غير معصومة)، وأنه يجب ربط المعتقدات والنظريات بالتجربة، وأن الممارسات اليومية يجب أن تكون المصدر الذي تنبثق منه النظريات والقواعد الفلسفية.

٢. يرى أنّ هناك صلة بين "المعرفة الإنسانية" وحل المشاكل في الحياة، وقد تعرضت الآراء التقليدية حول المعرفة، والتي تعد أنّ الحقيقة نظرية، وتتعلق بالمراقبة، والملاحظة، لانتقادات البراغماتيين، وقد تبنى ديوي هذه الآراء التي أصبحت أساسًا لوجهات نظره في مجالي التعليم والديمقراطية.

٣. يرى جون ديوي التحول هو الذي يجعل من الفردية القديمة صدى محتضرا، أكثر بروزا وسرعة في هذه البلاد منه في غيرها، فأين هي الفلوات التي تشير الى الطاقة الخلاقة والتي تتيح الفرصة التي لا مثيل لها للحافز والحيوية، وأين هو الرائد الذي يمضي مبتهجا، حتى في غمرة فاقته وحرمانه.

٤. اتخذت الفردية القديمة في أمريكا شكلاً انطلاقياً (رومانطيكيا) ولم يكن من الضروري وضع نظرية تعادل بين الربح الشخصي والتقدم الاجتماعي. فلقد اقتضت متطلبات الوضع العملي استثارة المبادأة والعزائم والحيوية لدى الأفراد في جميع الأعمال الفورية، التي اتقضى عملها وادى تنفيذها إلى تقدم الحياة القومية.

٥. انقسمت المدارس الفلسفية تجاه الفردية والجماعية إلى ثلاث مدارس كلها ترى بأن العلاقة بينهما علاقة تضاد وصراع.

٦. يقوم المذهب الفردي على تقديس الفرد ويقوم المذهب الجماعي على تقديس المجتمع، ويحاول المذهب التلفيقي الجمع بينهما من ناحية المنفعة.

٧. تنطلق الرؤية الاسلامية لحقيقة الفردية والجماعية من القرآن والسنة، ولذلك ترى أهمية الفردية والجماعية، فتربيهما جميعا في الانسان.

٨. انه لما ابتعدت الامة عن كتاب ربها وسنة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وانحرفت عن منهج الله الذي ارتضاه لها بدأت طلائع الفكر المادي المتمثل في التيارات الفكرية المادية تغزو المجتمعات الاسلامية تحت مسميات كثيرة متنوعة كالبراجماتية والوجودية والماركسية وغيرها.

٩. صارت التعاليم السماوية تؤول وتكييف على حسب مصلحة الشخص ومنفعته.

١٠. لكي نحدد موقعنا نحن المسلمون من مفاهيم البراجماتية خاصة والمفاهيم الغربية عامة ولابد من أن نقرر أن العقيدة الاسلامية هي المنطلق الذي تبنى على ضوءه مواقفنا الاسلامية كافة.

قائمة المصادر والمراجع:

العربية :

ابراهيم، زكريا (د.ت) دراسات في الفلسفة المعاصرة، القاهرة، مكتبة مصر.

ابن منظور، (د.ت) لسان العرب، مصر، دار المعارف.

الاهوائي، احمد فؤاد (١٩٦٨)، وجون ديوي، (١٩٦٠)، القاهرة، دار المعارف،.

بخيت، هاني محمد رشاد (٢٠٠٦)، البراجماتية الامريكية المعاصرة اصولها اليونانية، الاسكندرية، المكتبة المصرية.

البستاني، عبد الله (١٩٩٠)، معجم وسيط اللغة، بيروت، مكتبة بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى ابو عيسى (د.ت) الجامع الصحيح سنن الترمذي، بيروت، دار احياء التراث العربي.

جديدي، محمد (٢٠٠٤)، فلسفة الخبرة، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

جلال، شوقي (٢٠١٠)، العقل الامريكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، ت. محمد لبيب النجيحي، القاهرة، مؤسسة الخانجي.

جيمس، وليم (١٩٤٦)، ارادة الاعتقاد، ترجمة د. محمود حسب الله، القاهرة، دار احياء الكتب العربية.

حلمي، مصطفى (٢٠٠٥) الاسلام والمذاهب الفلسفية، بيروت، دار الكتب العلمية.

حنفي، حسن (١٩٩١) مقدمة في علم الاستغراب، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع.

ديلودال، جيرار (٢٠٠٩)، الفلسفة الامريكية، ت. جورج كتورة والهام الشعراني، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

ديوي جون (١٩٦٤) المدرسة والمجتمع، ت. احمد حسن الرحيم، بغداد، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

ديوي، جون (د.ت) الخبرة والتربية، ت. محمد رفعت رمضان واخرون، القاهرة، مكتبة الانجلو.

ديوي، جون وايفلين ديوي (د.ت)، مدارس المستقبل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

ديوي، جون، (١٩٨٧) ، الديمقراطية والتربية، ت. نظمي لوقا، القاهرة، مكتبة الانجلو.

رالف. ن. وين (١٩٦٤) قاموس جون ديوي للتربية، ترجمة محمد علي العريان، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

صليبا، جميل (١٩٨٢)، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

الاجنبية :

Reconstructing Individualism: A Pragmatic Tradition from Emerson to Ellison – James M. Albrecht (2012)

"John Dewey's Critique of Socioeconomic Individualism"

Three Approaches to Individualism: Sumner, Rogers, Dewey" – John Watt (1989)

Individualism Old and New (1930)

John Dewey and Friedrich von Hayek on Individualism and Freedom" – Maciej Kassner (2011)

Ibrahim, Zakaria (n.d.) Studies in Contemporary Philosophy, Cairo, Misr Library.

Ibn Manzur (n.d.) Lisan al-Arab, Egypt, Dar al-Maaref.

Al-Ahwai, Ahmad Fuad (1968), and John Dewey (1960), Cairo, Dar al-Maaref.

Bakhit, Hani Muhammad Rashad (2006), Contemporary American Pragmatism: Its Greek Origins, Alexandria, Egyptian Library.

Al-Bustani, Abdullah (1990), Al-Mu'jam al-Wasit al-Lughah, Beirut, Beirut Library.

Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa Abu Isa (n.d.) Al-Jami' al-Sahih Sunan al-Tirmidhi, Beirut, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi.

Jadidi, Muhammad (2004), The Philosophy of Experience, Beirut, Majd University Foundation for Studies and Publishing.

Jalal, Shawqi (2010), The American Mind, Cairo, Egyptian General Book Organization.

John Dewey, Human Nature and Conduct, trans. Muhammad Labib al-Najihi, Cairo, Al-Khanji Foundation. James, William (1946), The Will to Believe, translated by Dr. Mahmoud Hasaballah, Cairo, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya.

Helmy, Mustafa (2005), Islam and Philosophical Schools, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

Hanafi, Hassan (1991), An Introduction to the Science of Occidentalism, Cairo, Al-Dar al-Fanniya for Publishing and Distribution.

Delodale, Gérard (2009), American Philosophy, translated by George Kettoura and Elham Shaarani, Beirut, Center for Arab Unity Studies.